# القضية البربرية في ثلاث سنوات

الأمة المغربية تحارب السياسة البربرية

قبل أن تحارب مرسوم 16 ماى والذين أصدروه

حرر بمناسبة حلول 16 ماى 1933 وأعرض على الأستاذ عجاج نويهض قصد نشره بمجلة « العرب » القدسية.

تعد الفكرة البربرية من أخطر البرامج الاستعمارية التي عرفتها البشرية قديما وحديثا في كيفية دمج القوى للضعيف، وهى على خطورتها ظن نفر من الافرنسيين أن كل السهولة في إبرازها وتنفيذها؛ ولقد تصور رجال الإدارة الافرنسيون ببلادنا وهم يجتمعون لتقرير تلك السياسة وإصدار مرسوم 16 ماى أنهم يستطيعون أن يسيروا في طريقهم دون أن يلتفت إلى عملهم الخطير فرد مغربي أو أن ينتبه إلى نواياهم أحد مهما قرأ مؤلفاتهم التي بحثوا فيها الفكرة وقرروا فيها القضاء على الإسلام بهذه البلاد، فلقد صدر ذلك المرسوم بصورة شبه مستعجلة رغما أن جل رجال الفرنسيين درسوه وخصوصا منهم رجال القضاء وأنصار الفكرة قبل صدوره بشهور عدة. وما أن صدر ذلك الظهير ببضعة أيام حتى غادر السلطان البلاد إلى فرنسا وعزم المقيم على حضور مؤتمر افريقيا الشمالية بالجزائر، ثم إن الجرائد الفرنسية المحلية اكتفت بكلمات في التعليق عليه كأنه كان متوقع الصدور منذ سنوات، وهنأت بعضها المقيم على هذه الخطوة.

والمسألة لم تكن هينة لدى الوطنيين كما تصور المستعمرون في أول وهلة، فطالما تجادلوا في هذه السياسة التي تتبع فرنسا بالبلاد، وطالما فكروا في طرق مقاومتها؛ لقد كانوا يهتمون بكل ما ينشر عن البربر ومصيرهم، لكن لم يخطر بفكرهم أن المسألة ستكتسي صبغة رسمية مسيحية، وأنها تستمد قوتها بصفة رسمية من رجال الكنيسة الكاتوليكية

بالرباط إلى أن برز الظهير فأدركوا الخطورة المحدقة بالبلاد جميعها، فاجتمعوا اجتماعات كثيرة وتباحثوا في الموقف وقرروا بالإجماع مقاومة الفكرة ومحوها من الوجود، فسعوا أولا في تفهيم الجمهور المقاصد من هذه السياسة والنوايا التي يرمي إليها رجال الاستعمار؛ فكانت مجهوداتهم تلقى تحبيذا وتشجيعا من الجمهور المغربي في أهم المدن لا لأنهم يدركون هذه السياسة بل نظرا لما هم فيه من تعاسة وضيق شديد على الحريات العامة لدرجة لا تتصور؛ وابتدأت المقاومة الفعلية بمدينة سلا ثم امتدت إلى الرباط ثم إلى فاس، وبعد ذلك عمت كل المدن المغربية، وعمت الفوضى في سائر الإدارات حيث امتلأت السجون بالوطنيين المتظاهرين ضد الفكرة، ونفى زعماء الحركة، فكانت تلك الأعمال مما يزيد في شجاعة الوطنيين ويقربهم من الفوز؛ ورن رنين المسألة في الشرق العربي فاحتج على فرنسا ونواياها، فرجع الملك من فرنسا مسرعا، ومن بعده بأيام قلائل رجع المقيم الافرنسي وصرح لرجال الصحف أنه متأسف لما جرى من الحوادث، وحاول أن يهدئ روع الجمهور بكلمات جوفاء مطاطة. ثم استقر رأى رجال الإدارة الاستعمارية على أن تقرأ رسالة السلطان في المساجد وتكون كنوع من التهديد للقائمين بالحركة ونوع من تكذيب ما أشيع ونوع من إرضاء الجماهير بأن قرروا أن كل قبيلة حرة في اتخاذها للعرف البربري أم للشرع الإسلامي، فلم تلق هذه الرسالة إلا إعراضا كليا من سائر الطبقات، بل لقد زادت في تحمس الجماهير وتفانيها، وكانت تلك الرسالة أول اعتراف رسمي بحركة المقاومة من جانب السلطة، فرأت فشلها المريع في تلك المحاولة، وأدركت خطأها إذا لم تبادر إلى مفاوضة الشعب وتهدئة الخواطر بطرق مرضية، وهكذا رأيناها تغير فكرتها وتفاوض من وصفتهم في رسالتها السابقة بأنهم أطفال يكادون لم يبلغوا الحلم ( على حسب تعبيرها ) فتألف الوفد الفاسي بالتصويت كما تألف في كل مدينة من يقدم العرائض إلى الملك الذي يؤيد مطالب الوفد الذي اقتبله الملك بصفة رسمية، وأظهر له عطفه على مطالبه، ثم بلغه بعد ذلك بواسطة رئيس الوزراء أن مطالب الأمة قبلت،

فرجا رئيس الوفد ووزير العدل السابق أن يطلق سراح المنفيين والمسجونين في سبيل القضية وحوادثها تنفيذا للمطلب الثالث عشر الذي جاء فيه مايأتي: ( إصدار العفو العام عن جميع المسجونين والمنفيين في سبيل القضية وعدم التعرض لمن خاض فيها ) .

وشاع خبر قبول المطالب في كافة القطر بأسرع من لمح البصر، فتبادلت الناس التهنئة بهذا الفوز، ورأت السلطة ما يخيفها من حماسة الجماهير في كل المدن من هذا الفوز ( وهى أيضا ربما لم تكن قد بلغت رئيس الوفد بقبولها للمطالب إلا مخادعة وتهدئة للخواطر الثائرة ) فبلغت الوفد الفاسي بلزوم مبارحة الرباط والرجوع إلى فاس، فكان عملها صدمة قوية ورد فعل قبيح، فاضطربت كل المدن خصوصا فاس التي دام إضرابها مدة أربعة أو خمسة أيام، وسجن في يوم واحد منها مائتا شخص من الوطنيين، ونفى خمسة عشر شخصا من القائمين بالحركة، ثم أطلقت سراح المسجونين بعد أن حكمت على كل منهم مدة شهر من السجن، وزار خلاله رئيس الجمهورية الافرنسية البلاد المراكشية، وكانت كل خطبة عبارة عن وعود - نعرف قيمتها - وقال باسم الأمة الفرنسية إن فرنسا لا تنوي شرا للبلاد المغربية، وإنها لا تمس شرائع الإسلام ولا إرادة السلطان الشرعية بسوء إلى غير ذلك مما لا يحفل به كثيرا ونعده قصاصة ورق أو هزة من هزات الأثير.

وهنا دخلت المسألة دورا سريا، فأصبحت المنشورات توزع في كل مناسبة والرسائل تؤلف في القضية وتوزع بين الشعب ليتفهم ما تحويه من الفظائع عن مقاصد السلطة من سياستها، ولم تهتد الحكومة إلى مصدر هذه الحركة لتقاومها. فاضطرت أن تفاوض زعيم الحركة الأولى عبد اللطيف الصبيحي في منفاه تبلغه عزمها على تغيير مرسومها، ثم أذنت له فزار سائر المنفيين واتصل بزعماء الحركة وقرر معهم الخطة الواجب اتباعها وما تبديه الحكومة من حلول لتغيير سياستها، ثم بلغ ذلك إلى رجال الحكومة بالرباط، فلما خرج من حضرتهم صرح لأحد مكاتب الصحف الفرنسية بماهية الاتفاق، ونوه بانتصار الأمة المغربية في جهادها، فتلقى هذا التصريح رجال السلطة بشيء من الحدة، واستاؤوا منه

كثيرا إذ كانوا يتصورون أن تلك المفاوضات سوف لا يطلع عليها شخص من عامة الأفراد، فأرجعوا عبد اللطيف إلى منفاه بعد أن بلغوه قطع المفاوضة معه. ورجع عبد اللطيف إلى منفاه وهو أشد إيمانا بالفكرة وإخلاصا لها مما كان سابقا، وبقيت المسألة بين أخذ ورد بين حكومة باريز وحكومة الرباط، وطالما احتج ملك البلاد على السياسة البربرية وأظهر رغبته السامية في تغيير الظهير فلم يلق إلا وعودا وتسويفا من رجال السلطة الفرنسيين إلى أن حان يوم 16 ماى سنة 1932 فاستعدت الأمة لإظهار استنكارها لبقاء المرسوم البربري، فأذيعت عدة مناشير وكادت الحالة أن تنقلب كما حصل عند صدور المرسوم، لولا أن السلطة لازمت الصمت ولم تلق القبض على أي شخص كأن لا وجود لهذا ولا وجود لتلك المنشورات وتلك الاجتماعات، فأظهرت الأمة بسائر طبقاتها استنكارها واحتجت، وبعد مرور شهرين من تلك الحوادث أطلقت سراح المنفيين ووعدتهم بأنها تدرس المسألة وتغير مرسوم 16 ماى. واليوم يصرح رجالها المسؤولون أنها أصبحت ترى من الضروري تغيير مرسوم 16 ماى تلبية لما أبدته الأمة من رغبات، فلم يبق علينا إلا أن نتساءل هل حقيقة تود السلطة تغيير ذلك المرسوم وفق رغبات الشعب المغربي، وهل ترضى الأمة بذلك التغيير وتكتفي به، وهى التي طالما حاربت السياسة البربرية من حيث هى، وهل تقتنع الهيئات العاملة ببلادنا بذلك التغيير السطحي مع أننا نرى السياسة البربرية ما زالت لدى السلطة القائمة الأجنبية مما يعتمد عليه ويدرس باهتمام تام. لقد اضطرت حكومة باريز تحت عوامل مختلفة أن تغير مقيمها بالرباط، فهل معنى ذلك أنها تفكر في تغيير السياسة التي تسير عليها مع البربر؟ فإنه لا يهمنا أن غير الظهير بقدر ما يهمنا هل غيرت السياسة البربرية أو انعدمت من الوجود. لقد أدرك العالم أجمع أن الأمة المراكشية لا تحارب شخصا من الأشخاص وإنما هى ترمي إلى محو فكرة ترى كل الخطر مرتبطا بها، فستدوم تلك المحاربة من جانب الأمة المغربية لأنها مؤسسة على دعائم الحق والعدالة، وسوف لا تحيد عن مطالبها سواء غير من رجال الإدارة ما غير

وسواء بدل ذلك المرسوم أو أسقط ما دامت ترى أن تلك السياسة البربرية التي ترمي إلى أخطار جمة تدور في خلد المسؤولين من الافرنسيين.

هذه كلمتنا نعلنها في صراحة ونود لو ينتبه القائمون بالسلطة من أبناء فرنسا ويعملون في شيء من الجد والحزم على قطع دابر المشادة التي أولدتها الفكرة البربرية والتي تدوم ما دامت الفكرة في حيز خيالهم وعقلهم، وعليهم كذلك أن يدرسوا بجد ونشاط السياسة الفرنسية بالمغرب، فإن المطلعين يدركون أنها ستطور، وربما ليست لفرنسا غير ما نعهده وغيرما رأيناه سابقا، وأنها ربما تدخل في دور يخيل إلينا أنه جميل وأنه على دعائم حسن التفاهم وإدراك النوايا المغربية ونخدع أياما تنخذل فيها قوتنا المعنوية وما هى إلا عشية وضحاها حتى ظهرت تلك السياسة بمظهرها الحقيقي الواضح الناصع، فنجدها صورة أخرى على هذه السياسة البربرية التي نحاربها اليوم بجد ونشاط. فإنه ليجدر بنا في هذه الأوقات الحرجة أن نمعن النظر ونكون فكرة جامعة عن أي سياسة تنتحلها هذه السلطة ، فإن الغاية التي ترمي إليها الفكرة البربرية لهى ابتلاع بلاد المغرب والقضاء على وحدتها وشخصيتها في العالم الدولي؛ إذن بتطور هذه الفكرة فربما ستنتقل من حدود التمسيح إلى حدود أخرى لا نريد أن نعينها الآن قبل أن نرى اتجاه المقيم الجديد.

فإن بعض الافرنسيين أدركوا خطورة التلاعب بالدين والمعتقد، وتصوروا أى عصر نعيش فيه فأصبحوا يفكرون في الابتعاد عن تلك السياسة الاستعمارية، لكن هل معنى ذلك أنهم أصبحوا مبتعدين عن الغاية الكبرى التي ترمي إليها الفكرة البربرية كلا ثم كلا؟

هذا ما نراه جديرا بدرس إخواني العاملين في الحقل الوطني، وهذا ما نود أن تساعدنا الأمم العربية الإسلامية في محاربته كما ساعدتنا - دون أن أشكرها - باحتجاجاتها المتوالية على الناحية التبشيرية في الفكرة البربرية التي أصبحنا نراها متعددة المناحي، متشعبة المشاكل، والله ولى التوفيق.

مدينة مراكش - مسلم بربري